كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

النقد القديم/المرحلة الثالثة

د. جبار عبد ضاحي

المحاضرة الثامنة

ابن المعتز ونظرية الطبقات:

Ibn Al-moetaaz and the theory of classes

لقد عرف ابن المعتز البديع بأنه: اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء والنقاد المتأدبين منهم، فأما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ،وما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه أحد.

واذا تتبعنا مفهوم البديع عند ابن المعتز وعند من سبقه وجدناه عاما شاملا كل فنون الصنعة والجمال الفني، كالجناس والطباق والتشبيه والاستعارة والالتفات وحسن الابتداء وحسن التعليل وما الى ذلك.إلا أن مصطلحاته لم تستقر حتى سجلها ابن المعتز وصنفها وبين شواهدها في كتاب البديع. وهذا امر طبيعي لان الظواهر الفنية تسبق الاحكام النقدية والقواعد الفنية التي يصنعها النقاد والدارسون لكل فن شعري، فالشعراء كانوا يستعملون اضرب البديع في اشعارهم ومخاطباتهم دون ان يضعوا لها مسميات وانما كانت ترد عندهم عفو الخاطر وطوع السليقة فلا عجب ان تجد اختلاف النقاد في بدء مرحلة التأليف النقدي في اطلاق بعض المسميات على اضرب سميت بغيرها فيما بعد بالطباق مثلا او التطبيق وهو(مساواة المقدار) كما ذكر الجاحظ.

إن فنون البديع واساليبه كانت معروفة عند الشعراء المحدثين وقد سبقهم اليها القدماء، الا أن المصطلحات لم تستقر بعد، ولم تجمع في كتاب مفرد، ومن هنا يظهر فضل ابن المعتز في قدرته على حصر بعض هذه الفنون وتقسيمها وإطلاق مسميات لها مع سرد شواهدها وابداء رأيه في كثير منها.

سبب تأليفه الكتاب:

يرى بعض الباحثين أن كتاب البديع من الكتب المؤلفة دفاعا عن المحدثين واحتجاجا للبديعيين حيث أثبت ابن المعتز ان البديع معروف في العربية منذ العهد القديم جاء هذا في قوله: قد قدمنا في ابواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القران الكريم واللغة واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والاعراب وغيرهم واشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع ليعلم ان بشاراً ومسلماً وابا نؤاس ومن تقيلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا الى هذا الفن ولكنه كثر في اشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم،فأعرب عنه ودل عليه ، ثم ان حبيب وأوس الطائي من بعدهم شغف به حتى غلب عليه وتفرغ فيه واكثر منه فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض ،وذلك عقبى الافراط وثمرة الاسراف.

ويرى البعض الآخر ان سبب تأليفه انه كان صورة للصراع بين القديم والحديث،فهو يرى ان ابن المعتز وقف الى جانب الشعر القديم المحدث وان البديع ليس مستحدثا انما الفضل للقدماء.

إن دراسة سبب تأليف الكتاب يجب ان لا تنفصل عن شخصية ابن المعتز الشاعر، وعن مواقفه النقدية الاخرى وتأليفه الذي يستنتج منها موقف نقدي، فابن المعتز من انصار المحدثين ونجد صحة هذا الرأي عند دراستنا لكتابه الاخر طبقات الشعراء، وهو ميال الى استعمال البديع ميلا يجعل كتابه البديع صدى لشاعريته.

لقد عاب كثير من النقاد على الشعراء في زمانه استعمال البديع والمحسنات اللفظية بشكل مفرط،لذا رأى ابن المعتز ان يتصدى للدفاع عن السمة التي عرفت بها اشعارهم وهي (إيراد البديع والتفنن فيه)،ليقول لنا ان البديع ليس بمستحدث ولا بمعيب، لان القدماء قد عرفوه، وقد ورد ايضا في القران الكريم والحديث النبوي الشريف. وحكمت مواقفهم منه. كتب ابن المعتز في الب ديع لئلا يعد البديع عيبا على الشعر المحدث.وبين اقسامه ليحتذي الشعراء المحدثون حذو القدماء في الجيد من البديع.وهو في كثرة شواهده الاي اختارها يدلنا على ذوقه الادبي الرفيع من جهة، وعلى النزعة العربية الخالصة في التأليف النقدي من جهة اخرى .فكتاب البديع يدل على اصوله العربية التي لم تتأثر بعد بالثقافة الاجنبية.

لقد خطا ابن المعتز في تايفه هذا الكتاب خطوة جديدة في قظية الصراع بين القديم والحديث من الشعر، فبعد ان وصل الشعر المحدث الى مرحلة المطالبة بالمساواة مع القديم والدعوة الى النظر بعين العدل والانصاف عند الجاحظ وابن قتيبة خطا على يد ابن المعتز خطوة جديدة ظهرت في التاليف بأهم قضية تخص الشعر المحدث وهي ما لازم الشعراء من ميزات، استعمالهم للفنون البديعية والتوسع في استعمال المفردات اللغوية على خلاف ما كان القدماء يستعملونه، فتصدى ابن المعتز للتأليف في البديع ليقول ان هذه الظاهرة ليست من ابتكار المحدثين وانما سبقهم اليها القدماء، فلا داعي لتوجيه سهام النقد والعيب عليهم.

منهج الكتاب:

قسم ابن المعتز انواع البديع في اول كتابه الى خمسة أبواب هي: الاستعارة والتجنيس والمطابقو ورد اعجاز الكلام على ما تقدمها والباب الخامس هو المذهب الكلامي.

ومن ذلك قوله: من الكلام البديع قوله تعالى" وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم.

ومن الشعر البديع قوله في البسيط : والصبح بالكوكب الدري منحور

وانما هو استعارة الكلمة لشيئ لم يعرف بها من شء قد عرف بها مثل ام الكتاب ومثل (جناح الذل) ومثل قول القائل(الفكرة مخ العمل) فلو كان قال لب العمل لم يكن بديعا.

ومن البديع ايضا التجنيس والمطابقة وقد سبق اليهما المتقدمون ولم يبتكرهما المحدثون.